



المأساة في « في تحي دوار »

بقلم شاد أبو محاور

وفام ...

اسلم نفسه للريح ...

سال مع الظلام ...

مضى ...

تري لو عاد ..

لا تفرح ..

دروب التل تلهت عند ابوابي

وابوابي مغلقة من العصر القديمة لم تزل .

وفي النشيد الثاني يرجع الينا صدى النشيد الاول فيهمس

باسلوب خفي ان الشاعر هو ذلك العاشق لكنه حنط ذكرياته تمثالا ،

ومع ذلك فلا بأس من ان يضع اطفاله امانه غده على يدي التمثال ...

هؤلاء الاطفال انما هم براءة الاحلام التي ولدت في قلب الشاعر والتي

هي عبارة عن الحنين للبحث عما يسند اليه رأسه المنعب . واروع ما

في النشيد الثاني تلك « الحكاية » قصة البحار التي كانت السنة اهل

المدينة تلهج بذكرها ، ذلك الملاح الحزين كان يغيب اياما ليعود فيظهر

من جديد حاملا معه الى المدينة الحناء والطيب وبغض الحزن الغامض،

غاب هذا الملاح ولكن لا ليعود بل ليختفي عن المدينة دون امل بعودة اخرى

بعد ان غاب مركبه وتوارى في البحر .

« ويقال : ان ستارة زرقاء عابثها النسيم

هناك

فانحسرت

وظل القارب المسحور ينثر خلفها الحناء

ينثر

ثم غاب ولم يعد . »

لقد توارى ، غيبه البحر كما غيب كثيرا من الرجال قبله ... غاب

الملاح ... رحل الشاعر ، ابنتي لنفسه مبعيدا بعيدا عن الناس ، هرب

من الفشل الى الحزن والبخورد والمواقف والريح والعراء . ويتجلى

الهرب في النشيد الثالث الذي يسميه الشاعر « الطر » او بعبارة

اخرى ما يفضل الحزن ، في هذا النشيد خاتمة القصة وبداية المأساة .

فمنذ البداية كان الشاعر « بطلا » يعترف بفشله وينعزل لبحث عن

تجربة جديدة ، انه يريد الانزال ليراقب ثم لينحدر الى مجرى الحياة

ويتعقب مرة اخرى ، ان وحدته وانعزاله هنا الى درجة التصوف ليست

انعزالا نهائيا .

« من يفرح القصدير !؟

ابوابي مغلقة من العصر القديمة

لم تزل

من يفرح القصدير !؟

جدراني مضرة

وكهانتي على وهج المواقف نائمون . »

الرب في قلب الرجل والمرأة ابنتي لنفسه عشا توارثه الابناء

عن الاباء وابناء هذا الجيل بلا حب بلا حنان ، الحب اتصال للحظات

في زوايا هروبية وتحت وطأة الخوف من العقاب ، الخوف يدفع هؤلاء

المأساة ... مأساة جيلنا المعاصر الذي ما فتىء يندب حظه العائر متخطبا في كل التيارات المتضاربة باحثا عن المنطلق نقطة البدء لما يؤمل ان يحقق من صبوات وريجات مضطربة من اهداف ومثل عليا تؤمن الخير والحب للناس جميعا من ابناء ارضنا المعطاء ، مأساة هذا الجيل انه جاء الحياة ليفتح عيونهم على وطن مسلوب وخيرات منهوبة وقدرات ضائعة مبعثرة تسفحها كل قوى التآخر والانجرار الى الخلف . هذا الجيل قد تمرد واخذ يرفع صوته عاليا يرفض الزيف ، يريد ان يصل الى الحقيقة بصدق وبدروب شريفة دون مهادنة ، الجيل المتمرد الخلاق هذا قد انجب الشاعر : فواز عيد .

المأساة والهزيمة الكبرى التي تلوث وجدان هؤلاء الفرسان الذين نما في صدورهم الالم فكان تمردا شق دربه امامهم ساطعا في حلكتة ظلمة العصور وبقاياها العفنة ، هذا التمرد على الزيف ، على النل المتوارث الذي عسش في زوايا العيون والذي طالما دوخ الرؤوس واستفحسل خطره ، ينفذ الان عن كواهل الجيل بكل عظمة واندفاع العربي الشاعر الصادق . ابناء هذا الجيل فرسان كبروا على حمحة الخيل وصهيل الجياد في معركة النداء للتخلص من العار ... هؤلاء الفرسان هم الذين :

« قالوا

نعود ولا نعود

كانوا صفارا

يكبرون على سهيل جيادهم في الليل

كانوا يكبرون »

لقد ندب الشاعر فواز هذا الجيل للواقع بكل ما فيه من تزمته، والقارئ للديوان لا بد وان يلاحظ نمو خيط المأساة في وجدان الشاعر منذ فاتحة الديوان « الابواب » حتى القصيدة الاخرى « لا نش للفرعاء » خيط المأساة هذا هو الذي يجعل من الديوان بكل فصائده قصيدة واحدة . انه في محاولته الاولى للهرب انما يزداد اقتربا والتصاقا بالواقع بالرغم من صباب الاقبية وبالرغم من محاولة الانطواء .

« الابواب » مفتاح الديوان وهي بحق من اجود واروع قصائد الشعر الحديث من حيث قوة الشاعر الايجابية والبنائية والقدرة على اعطاء وخلق الصورة المتينة « والحديث » بكل ما فيها من جهد خلاق ، الشاعر في « الابواب » التي هي ثلاثة اناشيد ذات بناء سيمفوني لا يمكن للقارئ ان يرتبط معها وان يفهمها الا بان يقرأ كل نشيد بنفس واحد متتابع ومن ثم يرتبط في ذهنه الاناشيد الثلاثة ، فالشاعر يهرب بنفسه بعيدا عن عالم الواقع ويحاول ان يطرد عن بابه ذلك العاشق الذي يمثل في ذهنه تجربة الحب مجونة بالفشل والاحزان ...

... وهنا بجانب موقدي كم قال ...

حدثني .. عن المدن الحزينه ...

عن غريق مات في الجزر البعيدة ..

عن حبيبته ..

روى في الليل

حداق في الرماد

الشباب للهرب ، للتسكع في الحانات ، في المقاهي ، في الاقبية ، يبحث الشاعر عن الحب ، يفتش الجبل عن الاستقرار ، ولكنهما مفقودان وهذا هو قدر الجيل .

اين هي شهرزاد ، ومن تكون ؟ ما لون عينيها ؟ انها ليست الا في يوتوبيا حلما يخفق مثل ضوء صغير ويتعد وينأى وان وجدت فهي ماساة متجددة . لذا يلود الشاعر بنفسه في زاوية من زوايا الكهف حيث صراخ البوق ، يلتفت حوله فلا يرى الا رؤوسا دائخة وعيوننا جامدة :

« ويرش الكهف في الاهداب الوانا سخينة
توثق الاقدام بالبوق فلا تدري

متى كانت رزينة »

ليال صفيعية ليالي ابناء هذا الجيل ، الدخان ضباب الحزن الشفاف ، الليلة تتبع الاخرى عمرنا يفنى لا جديد غير مأس صفيحة مبعثرة تتفتح مع اشراقه كل صبح ، لا بأس من ان تصيب هذه الليلة ايضا ، لقد جئنا هنا للنسيان لاننا بلا شهرزاد بلا قرار ، شهرزاد احدى مشاكلنا وهي مشكلة كبيرة لانها الطريق للاستقصاء والبحث لانها العون في الطريق الوعر . نمد ايدينا فنقبض على وهم يراوغ علسي سراب مخادع ، على لا شيء ، العيون تحملق مشدوهة ، الانغام تحلم ، ولكن لقد فقدنا القدرة على الحلم . . لقد انتهينا . . انتهينا :

« تعبت اقدامنا

في الكهف ربح باردة
وارتمت منهارة في الليل عين جامده . »

ها هي ذي شهرزاد يحاول الشاعر الاقتراب منها ليهمس لها قائلا:
« شهرزاد
انت يا شمعية يا صممت غابه
من ترى اضناك !؟
اعطاك الكآبه
كلما قلت « غدا »
اجبن
والجبن صبابه . »

شهرزاد ايضا مثله صفراء كثيبة كزهرة بلا شذى ، لا تستطيع ان تهبه شيئا ، انها لا تملك ما تعطي فمأساتها واحدة .
هل ينسى الشاعر الخنجر المنتظر بصلف خنجر مجتمع شرقي مفلق لا يأخذ ولا يعطي ، لكن ها نحن هنا نتعرف على المشكلة اكثر وعلى جذورها البعيدة ، ففي القصيدة الثالثة « القصب والمرايا »
« تروي العجائز انها احبته وهربت معه حيث ذبحت كالشاة وكان صوتها يناوه تحت رذاذ القمر »

لماذا اختار الشاعر هذه الاسطورة الريفية ؟ ولماذا وضع روح الهاربة مع عاشقها والتي قتلت لانها تحب ؟ صورة امام عيوننا تلك التي تكاد دماؤها تنبجس من احرف القصيدة على الورق ، هذا هوذا العاشق لم يقتل لانه رجل لكنه هرب وما عاد يقني ، لقد سرق منه اللحن ، توارى ولم يرجع ، خلف وراءه « مذبوحة » عصرت دماؤها في احمرار شقائق النعمان ، مضى مع الليل دون ان يراه احد بعد ان انقطع اخر خيسط يشده الى الحياة وما زال النهر يبكي والعجائز يروين بكل بساطة وكانها حلم مر .

« قيل في الضفة ما عاد يقني

قيل قد يرجع يوما

قيل مجنون مضى في الليل

مات

قيل ما قيل

وقد القصب المنعب يلوي

وتجوس الريح افواس السكينه

وتروي من جرار الليل قامت القصب

ويدق النهر في الشيطان اجراسا حزينة . »

« الطريق الى المقبرة » هي القصيدة الضحية فبالرغم مما فيها من جمال الا انها قد قتلت بتأثر الشاعر بالموجة الجديدة . لقد اجساد الشاعر في اعطاء صورة للمدينة حيث لا صلة تربط ولا بساطة تجمع بل سيارات وفولاذ يندفع بهمجية ولكن كما قلت ان موجة « البيوت » اثرت في الكثيرين ومن بينهم شاعرنا هذا في قصيدته هذه .

اننا لم نصل بعد الى التعميمات الحضارية كاوربا بل اننا ما زلنا في بدايه الطريق ، فلماذا هذا الرعب وهذا التصوير لشيء غير موجود ؟ اين هي العامل في بلادنا ؟ اننا ما زلنا في بداية الشوط ولم نقطع شيئا بعد ، ودمشق هي مثل الريف بالرغم من هذا « البهرج » بالرغم من السيارات والترام والسرعة في السير وعدم الالتفات .
« يتلمظ الفولاذ طعم دماننا شيبا
وتزفر من فتار جسومنا

سحب الدخان

ان موجة النثر او « الاستيراد » التي لا اصالة فيها قد طفت على معظم نتاجنا الحديث ولم يسلم منها حتى شاعرنا بالرغم من كونها طفيفة عنده ، ومع ذلك ارجو ان تمحو اصالة العربي في شاعرنا هذا النثر ، فحياتنا ما زالت بكر . المدينة ، الضياع ، التسكع ، اقدام المنعبين الهاربين تدق وجه الشارع ودنما هدف ولكن اخيرا وبعد هذا التطواف الملل تحدر الرغبة شاعرنا فيحاول العودة الى شهرزاد عليها تشعل جذوة حياته الخاملة ولكن شهرزاد ما زالت هي هي محاصرة خطفت الجدران لونها بالرغم من حروف الشاعر المنتهية وبالرغم من طهر مداده المصبوغ بدمه ، لنعد ولنرتم في الزمن في صراخ البوق في ليل الاقبية لان الهزيمة ما زالت باقية موطدة الاركان ، فوداعا ايها الاصدقاء ، ايها المهزومون :

« عم مساء يا صديقي

وافترقنا في الطريق

وتلفنتنا

اذ : لا بأس . . . امضي

خلفي السور

وقدامي تعاريج المضيق . »

ويصل الشاعر الى :

« اصدقائي

ذبل البوق ومات اللحن

مات

وتمطت في الزوايا من ليالينا الرفات . »

هذه الصورة الصادقة عن ابناء الجيل هي ما يحلو لبعضهم ان يتهم الجيل بها « انهم لا شيء » انهم السليبيون الهروبيون « ولكن ها هوذا الشاعر يرد عليهم بكل عظمة الجيل .
« يا صديقي

من هنا نبدا في القرية من حيث انتهينا . »

الى « من مراسي اغنيات لم ينعها الوتر . »

ابناء هذا الجيل كالاطفال في الحاحهم يريدون جوابا عن كل شيء ، اطفال في طبيعتهم وصفاء قلوبهم وفرسان في بطولتهم في قوة اختراق حواجز الواقع الى هناك ، الى الامل الكبير الموعود ، انهم اختاروا مصرهم ، حملوا العبء على اكتافهم ليحرروا انساننا العربي من كل القيود ومن

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتّاب المسرح

صدر منها :

١ - البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر
ترجمة الدكتور سهيل ادريس والحامي جلال مطرجي
الثنى ٢٠٠ ق.ل

٢ - ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا
ترجمة شاكر مصطفى
الثنى ٢٠٠ ق.ل

٣ - هيروشيما حبيبي

تأليف مرغريت دورا
ترجمة الدكتور سهيل ادريس
الثنى ٢٠٠ ق.ل

٤ - لكل حقيقته

تأليف لويجي بيراندللو
ترجمة جورج طرايشي
الثنى ٢٠٠ ق.ل

٥ - تمت اللعبة

تأليف جان بول سارتر
ترجمة مجاهد ع. مجاهد
الثنى ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب - بيروت

المأساة في شمس دوار

- تنمة المنشور على الصفحة ١٦ -

كل ما في الماضي من صقيع ومرارة ، ان امتنا على موعد مع النصر ، على موعد مع الفارس الذي مضى ليعود يحمل معه اشراقه الفجر وحرارة المستقبل .

((يا فارسي

يا بوح اغنية على شفة حزينة

يا موعدا ارجوه من سنة ضئيلة .))

الشعر ما عاد تصفيقا وصراخا للحظة ثم ينتهي مفعوله ، ان الشعر الحديث لا يحتاج للتصفيق والتهنئ بل هو غناء لارض الانسان لوطنه ، انه اغناء لحياتنا لكن دون بسجج وتطليل .

الشاعر الان بدأ يعي رسالته اكثر من ذي قبل والاتصال وثيق بالرغم من محاولة المتخلفين ابعاد الشاعر الحديث واتهامه . اذا الشاعر الان لا يفغ على منبر الخطابه من أجل نفخ المستمع للحظة بل اصبح نمة اختلاف ، فالشاعر الحديث في وسط المعركة ومع الشعب رقيق الجماهير الصامت والمتوقف في آن واحد ، انه الصديق والحرارة والخلق . لقد غنى فواز لبردى ولم يغن لشخص معين او لجماعة . غنى للجماهير والعرب جميعا وكان في كل حرف من حروفه بوحا عن شوق بعيد الغور ، بوحا عن صمت تفجر .

((وان قلنا

متى نهوي التلوج ؟

متى يفيض النهر

قلت : غدا .))

الوعد في حبات ماء النهر ، في طيبة ارضنا المعطاء ، الشاعر مع بردى في الحاضر ومع الاندلس مع ماضي اجدادنا الجيد ، يتسكع الشاعر في شوارع دمشق ولكن العربي يشور فيسه ، يتنفض بجيروت لتفيق معه الجماهير على الوجه النير للماضي بما فيه من طاقات وانفداع .

((رجعي

في الصدر انفاس

وفي الليل بقيه

فمزاني في نيالي مطر القرية انت

ما انتهى الخصب بعينيك

ولا انت انتهيت .))

سؤال يطرح من خلال ابيات القصيدة ، ترى هل نصب الانسان العربي ؟ ام ان هناك املا لانهاء تسكعه الذهني وتشرده الروحي ؟ سؤال يعجز الشاعر له جوابا رائعا ، ان ذلك الانسان الذي خرج من الصحراء فانهى عهد الفوضى في الفكر الانساني في عصره لم ينته ، بل انه ما زال املا جديدا مرة ثانية ، انه يفيق في ليل القرية ، في ليل التشرذم والعزاء ، العودة للاخذ من الماضي الى ما يربط حاضره بماضيه دون مفلاة وتحجر ... فمنذ ان جاءنا البرص من روما ... المفزاة ونحن نزداد تشردا وغربة في وطننا .

((ودهمنا المفزاة البرص من روما

وعانت اوجه الاغراب في الساحات

فما ابقت . كالحمي

لقد داهمنا المفزاة ، سرقوا فلسطيننا ... فمتى تعود ارضنا حرة من جديد ، عندها لا نعود نحس بلقرية ... عندما يصبح هناك للغرباء نقش ... عندما يتسوخ العربي برأسه عاليا فيحمل من جديد الرسالة للانسان والحب والخير .

رشاد ابو شاور

دمشق